الوحش الأصفر

محمود سالم

الوحش الأصفر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الوحش الأصفر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٥٧٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
تاكسي إلى الجحيم!	١١
ماذا يحدث تحت الأرض؟	١٧
الزعيم المريض!	٢٣
نمور وأسود وتماسيح	٢٩
معركة الفيلَّا السوداء!	٣٥
رسالة عند التماسيح	٤١
من هو «آنجلو» القادم؟	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

تاكسي إلى الجحيم!

في فندق «طوكيو برنس» ذي الأحد عشر طابقًا، جلس «أحمد» و«قيس» و«عثمان» في المساء يُعيدون تقييم موقفهم؛ فلقد حضروا مع «إلهام» و«هدى»؛ لتسليم فيلم الأسرار العسكرية إلى عصابة «المجموعة X»، ويستعيدوا الطفل «أدهم» الذي خطفَتْه المجموعة مقابل الحصول على الأسرار العسكرية.

لقد استطاع الشياطين الخمسة استعادة «أدهم»، ثم أخذته «هدى» و«إلهام» وغادروا «طوكيو». وفي نفس الوقت كان الفيلم الذي تسلَّمته «المجموعة X» مغطى بطبقةٍ كيميائيةٍ سريَّة قابلة للاحتراق السريع، وعندما حاولت «المجموعة X» طبع الفيلم على الورق احترق.

قال «أحمد»: وهكذا استطعنا استعادة الطفل «أدهم»، وفي نفس الوقت لم نخسر الأسرار العسكرية فقد احترق الفيلم.

قال «قيس»: لقد غادرت «إلهام» و«هدى» والطفل «أدهم» اليابان، ولم يعد أمام «المجموعة X» إلا أن تنتقم منَّا!

عثمان: إذن مهمتنا الآن إنقاذ أنفسنا.

قيس: المسألة ليست سهلةً؛ لأننا مطاردون بعصابتَيْن؛ عصابة «المجموعة X»، وعصابة «كوجانا» التي حاولت الحصول على الفيلم، واستطاعت أن تضع خطةً بارعةً حصلت بها على الفيلم فعلًا، ولكن «أحمد» استعاده بعد مغامرةٍ رهيبة في جزيرة «سنغافورة».

أحمد: يجب أن نأخذ زمام المبادرة، ونمضي فورًا، إن كل دقيقةٍ نفقدها تضع عصابة منهما أو العصابتين معًا في أعقابنا.

وفي الحال قام الثلاثة بإعداد حقائبهم، وحمل كلٌّ منهم حقيبة المركز السري المزودة بالجيوب السحرية التي لا يمكن اكتشافها، ثم أسرعوا ينزلون ... ودفع «أحمد» حساب

الفندق، ثم خرج الثلاثة، ولحسن الحظ وجدوا سيارة تاكسي في الانتظار أمام الباب، فقفزوا إليها وطلب «أحمد» من السائق الاتجاه فورًا إلى مطار «طوكيو».

مضت السيارة في طريقها المعتاد، وكان الشياطين الثلاثة صامتين، يفكرون في الساعات المقبلة بل الدقائق المقبلة، وهل تنتهي على خيرٍ حقًّا ... هل يصلون إلى الطائرة، ويركبونها ويغادرون «طوكيو» نهائيًّا بعد انتهاء مغامرة «كلمة السر طوكيو»، ولم ينتبهوا في البداية إلى رائحةٍ غريبةٍ أخذت تنتشر في جو السيارة، ولكن بعد دقائق قليلة شاهدوا حاجزًا من الزجاج السميك يرتفع بينهم وبين السائق، وأحس «أحمد» بالخطر فورًا، وللأسف الشديد كانت أسلحتهم في الحقائب. ومدَّ «أحمد» يده لفتح باب السيارة فلم ينفتح، وحاول فتح الزجاج فلم ينفتح أيضًا، وكانت السيارة تسير بسرعةٍ عالية في الطريق السريع، وفجأةً انحرفت في شارع جانبي تُظلِّله الأشجار الكثيفة، ثم أخذت المشاهد تغيم أمام عيون الشياطين، فتأكَّدوا أنهم يستنشقون غازًا مخدرًا قويًّا ينبعث من مكانٍ ما في الجزء الخلفي من السيارة، كان فخا محكمًا، وتذكَّر «أحمد»، وهو يغيب عن وعيه أنهم وجدوا سيارة التاكسي في انتظارهم أمام باب الفندق ودون استدعاء، فكيف عرف الخاطفون أنهم سينزلون في هذه اللحظة بالذات؟!

ثم لم يكن هناك سوى إجابةٍ واحدة؛ إن الخاطفين وضعوا أجهزة تصنُّت في جدران غرفة الفندق، واستمعوا إلى كل أحاديثهم.

مضَت نحو عشرين دقيقة ... ثم انحرفت السيارة إلى غابةٍ كثيفة، وسارت قليلًا، ثم توقفت أمام مبنى أسود اللون تُظلِّله الأشجار، وكان الشياطين الثلاثة بين اليقظة والمنام ... وهم يُساقون إلى المبنى الأسود المختفي بين الأشجار، وقد انتعشوا قليلًا عندما تعرضوا للهواء النقي، واستطاعوا أن يتبيَّنوا الوجوه الصفراء التي تُحيط بهم ... كانوا جميعًا من اليابانيين، ولكن عندما وصلوا إلى باب المبنى ودخلوا، كان في انتظارهم رجلٌ طويل القامة غريب الملامح.

قال الرجل دون مقدماتٍ: لقد أفلتَت الفتاتان ومعهما الطفل ... ولكنكم وقعتم في أيدينا ...

لم يَردَّ أحدٌ من الشياطين الثلاثة، كانوا يشعرون بدوارٍ حتى إن «أحمد» لم ينتظر أن يدعوَه الرجل للجلوس، فقد ارتمى على أقرب كرسي إليه، وأخذ ينظر حوله ثم قال: هل نستطيع الحصول على فنجان من القهوة؟!

الرجل: ستحصلون على كل شيءٍ ... المهم أن نتفاهم!

كان «أحمد» مغتاظًا لأنهم وقعوا بهذه السهولة، مجرد تاكسي مُزيف، وغاز مخدر، ويقع ثلاثة من الشياطين في يد العصابة ... وفجأة خطر له سؤال: هل هم عصابة «المجموعة X» أم عصابة «كوجانا»؟

قال «أحمد»: أريد أولًا فنجانًا من القهوة ثم بعد ذلك نبدأ الحديث!

كان «قيس» و«عثمان» قد جلسا، وجلس الرجل أيضًا، ودون كلمةٍ أخرى أشار بيده، ولاحظ الشياطين أن ثمة شخصًا يقف في جانب مظلمٍ من الصالة الواسعة ... وسمعوا وقع خطواته وهي تتلاشى تدريجيًّا.

عاد الرجل يقول: إنني رجلٌ محترف، وبهذه الصفة أحب أن أعقد معكم اتفاقًا ننفذه كرجال يتحدثون إلى بعضهم البعض.

لم يرد أحدٌ من الشياطين فمضى الرجل يقول: إننا نريد نسخةً أخرى من الفيلم، لقد اتفقنا على سرقتها لحساب إحدى الدول، وقد قبضنا العربون، والآن ماذا يكون موقفنا إذا لم نحصل على الفيلم؟!

ظل الشياطين الثلاثة لائذين بالصمت، واستمر الرجل في حديثه: إن سمعتنا كرجال محترفين ستتعرض للإهانة والاحتقار ... سواء من هذه الدولة أو من بقية العصابات العاملة في الميدان، وها أنتم ترون ببساطة أن المسألة ليست مسألة نقود فقط ولكنها مسألة كرامة أيضًا.

كانت كلمات الرجل الأخيرة تشبه جرس الإنذار، وكأنه يريد أن يقول إن الصمت في هذا الموقف لا يمكن احتماله، وأحسَّ «أحمد» أنه يجب أن يتحدث؛ ليعرف كل ما يدور في رأس الرجل.

قال «أحمد»: لا أظنك تنتظر منَّا أن نساعدك في عملية سرقةٍ ضد وطننا؟!

لوى الرجل وجهه الذي يُشبه وجه العرسة، وقال: لا مجال هنا للحديث عن الأوطان، ولا مجال أيضًا لترديد الكلام الذي سمعتموه في المدارس عن الوطنية، إننا هنا في موقف عمليٍّ جدًّا ... اختيار بين الفيلم وبين أرواحكم.

أحمد: لقد نشأنا في المدارس على أن الوطن أكبر كثيرًا من كل حياةٍ؛ ولهذا فإن حياتنا لا تساوي شيئًا إذا ذكر اسم الوطن!

الرجل: إن عندنا من الوسائل ما يجعل أقوى القلوب تسقط من الرعب، فإذا أردتم أن تجرِّبوا فإنني في خدمتكم.

جاءت ثلاثة فناجين من القهوة ... وانقضَّ الشياطين الثلاثة عليها ... كانوا جميعًا يشعرون بنوعٍ من الدوار والصداع، وكان فنجان القهوة لكلٍّ منهم شيئًا هامًّا.

ابتسم الرجل وقال: إننا لم نتعارف بعد ... اسمي «كيرش» وأعمل كمسئول في منطقة الشرق الأقصى لمنظمةٍ عالميةٍ سريةٍ ... ويسرني أن أتعرف بكم!

ردَّ «أحمد» على الفور: نحن لا نستطيع التحدث عن أسمائنا ... وتستطيع أن تنادينا بالأرقام.

ابتسم «كيرش» ابتسامة هازئةً وقال: هل نسيت أن جوازات السفر كلها معي؟

لم يهتز «أحمد» وقال: إن الأسماء التي بها ليست صحيحةً.

كيرش: دعونا من الأسماء ... المهم الآن ما هي المنظمة التي تعملون لحسابها؟ إننا سنعرض عليكم أضعاف أضعاف المرتبات التي تتقاضونها منها، المهم أن نعرف من الذي يقود هذه المنظمة؟ ولحساب من تعمل؟ والنظام الداخلي لها؟

وضع «أحمد» فنجان القهوة والتفَت إلى «كيرش» قائلًا: ببساطة تريد أن نصبح خونة، يبدو يا سيد «كيرش» أنك لا تعرفنا!

ابتسم «كيرش» ابتسامة الواثق من نفسه، وقال: في مثل سنِّكم تصبح المثل العليا حقيقيةً، ولكن عندما تكبرون في السن ...

رد «أحمد» مقاطعًا: تأكد أن لا شيء يمكن أن يجعلنا نخون أهدافنا ... فلنتحدث في أي شيءٍ آخر.

احمرَّ وجه «كيرش» قليلًا، ثم قال: إذن نريد نسخة من الفيلم ... نسخة لا تحترق.

وعرف «أحمد» على الفور أن «كيرش» ينتمي إلى المجموعة التي يسمُّونها «X»، وقال: ما هي تصوراتك للحصول على هذه النسخة؟

كيرش: بسيطة جدًّا ... سنحتجز اثنين منكم هنا، وسيخرج الثالث ... وسنكفل له الوصول إلى بلادكم ليعود بالنسخة ... فإذا لم يعد في حدود مدة معينة، فإن ما يحدث للاثنين الباقيين لا يمكن تصوره!

ورغم قسوة الأسلوب الذي يتحدث به «كيرش» فقد أحس «أحمد» ببعض الراحة، فإن خروج واحدٍ منهم معناه احتمال لإنقاذ الباقيَين؛ لهذا سارع بالرد قائلًا: لا بأس يا سيد «كيرش» بما تقترحه.

كيرش: ضع في اعتبارك أنني لا أحب الألاعيب، إن حياتي معرضةٌ للخطر بسبب ما حدث؛ فإن المنظمة التي أعمل لحسابها لا ترحم، وقد أمهلوني عشرة أيامٍ فقط لاستعادة الفيلم.

أحمد: سنحاول يا سيد «كيرش».

كيرش: إنكم في ضيافتنا الليلة ... وعليكم أن تتفقوا على من يخرج، ومن سيبقى.

ووقف «كيرش» معلنًا انتهاء المقابلة، وأشار بيده بتحيةٍ بسيطةٍ، ثم اختفى وراء أحد الأبواب، ولم يكد يغلق الباب خلفه حتى همس «أحمد» لـ «قيس» و«عثمان»: افتحا عيونكما وآذانكما، إننا في حاجة إلى كل التفاصيل.

ظهر رجل قصير القامة أصفر اللون، وانحنى باحترامٍ لهم، ثم أشار بيده أن يتبعوه وساروا خلفه، فتح بابًا جانبيًّا وعبروا خلفه، ووجدوا أنفسهم فجأةً أمام مصعد صغير فتحه الرجل وأشار لهم بالدخول، دخلوا جميعًا ثم ضغط الرجل على زرار وتحرك المصعد هابطًا.

كان الثلاثة يتابعون كل شيءٍ، فمن المؤكد أنهم سيخوضون معركة ضاريةً ضد «المجموعة X» في هذا المكان، وظل المصعد يهبط حتى أدرك الشياطين الثلاثة أنهم في بطن الجبل، وتذكروا جميعًا مغامرات سابقة كانوا فيها أسرى تحت الأرض …

كان الصمت ثقيلًا، وحتى المصعد لم يكن يصدر عنه أي صوت، لكنه توقَّف فجأة، وفتح الرجل الباب، وكانت في انتظارهم مفاجأة أخرى، كان أمامهم دهليز من الصخر محفورٌ في قلب الجبل، ساروا فيه، ونزلوا بضع درجات أخرى ثم وقف الرجل أمام غرفة، أشار الرجل لهم بالدخول فيها، وعندما دخلوا ذهلوا، كانت الغرفة صمَّاء الجدران لا أثر فيها لفتحة، إلا فتحات التهوية في السقف، وأدركوا أن عدوهم أخطر مما توقعوا بكثير.

ماذا يحدث تحت الأرض؟

كانت الغرفة واسعةً ومضاءةً بإضاءةٍ قويةٍ، وتأكَّد «أحمد» أن فتحات التهوية تحتوي على آلات تصوير تليفزيونية، وأنهم مراقبون جيدًا من العصابة، وعندما نظر إلى «قيس» و«عثمان» أدرك أنهما فَهِما كل شيءٍ ... وكان بالغرفة خمسة أسرَّةٍ ومكتب في طرفها، بالإضافة إلى الدواليب، وفي جانب منها باب صغير فتحه «أحمد» ... كان يؤدي إلى دهليز قصيرٍ ثم دورة المياه.

دخل «أحمد» دورة المياه ... وتوقف في وسطها، لقد سمع شيئًا ما ملفتًا للانتباه، وتوقف في الصمت المسدل على المكان يستمع ... كان هناك شيءٌ يهدر بهدوء، من الممكن أن يكون محركًا ... أو ربما تيار من الماء ينحدر من مكانٍ مرتفعٍ ... فهل قاعدة الجبل قريبة من إحدى الأنهار؟ أم هي ماكينة تُدار لغرض ما؟!

كانت فتحة التهوية الوحيدة في دورة المياه في منتصفها تمامًا ... فأدرك «أحمد» أنه إذا وقف في جانب بعيدٍ فلن تستطيع عين الكاميرا أن تراه ... وكان ذهنه يعمل سريعًا ... توقف بجوار الحائط الصخري، وأخذ يتأمله لحظاتٍ، ثم مدَّ يده وأخذ يتحسس الجدار ... وعرف على الفور أن الصخور قد تم تقويتها حديثًا بطبقة من الأسمنت، وهذا يعني أن الجدار في هذه المنطقة ضعيفٌ ... وهذا ما كان يتمناه.

اغتسل «أحمد» ثم دخل الغرفة ... كان «قيس» و«عثمان» كلٌّ منهما قد تمدَّد على سرير ... وعندما دخل «أحمد» التفتا إليه، ونظر إليهما نظرة ذات مغزى، وبدون كلمة واحدة دخل «عثمان» دورة المياه، أمضى فيها بعض الوقت ثم عاد، ونظر إلى «أحمد» ... ثم دخل «قيس» أيضًا وعاد ... وتلاقَتْ عيون الثلاثة في نظرات متفاهمة، لقد أدركوا أنهم مراقبون بالكاميرات، ولكن في الإمكان الإفلات من هذه الرقابة في دورة المياه، وهكذا ببساطةٍ اتَّجه «أحمد» إلى هناك، ثم لحق به «عثمان»، ووقفا في جانب بعيدًا عن فتحة

التهوية التي تحوي جهاز التصوير التليفزيوني ... وقال «أحمد» هامسًا: هل سمعت الصوت الذي يهدر بجوارنا؟

ردَّ «عثمان»: نعم سمعت ... صوت محرك، أو مياه متدفقة!

أحمد: هذا ما فكرت فيه بالضبط ... وأنا أعتقد أنه صوت شلال مياه قريب، ضع يدك على الجدار.

وضع «عثمان» يده على الجدار وتحسَّس البلاط الجديد الذي ما زال رطبًا ... وقال «أحمد»: إن هذا الموضع من الجدار ضعيف ... ومن الممكن ببعض الجهد إحداث فتحة فيه.

عثمان: إذا كان هذا ممكنًا، فمن الأفضل أن نبدأ في الحفر من الآن.

أحمد: إننا لن نهرب، فإن المخاطرة بحياتنا نحن الثلاثة ليست هي القرار الصحيح ... بل ما أفكر فيه هو أن ننفِّذ ما تريده «المجموعة X» أو هذا المغرور «كيرش». إن وجود أحدنا حرًّا مسألةٌ هامةٌ ... وبالطبع سوف يحاول من تُفرج عنه العصابةُ أن يساعد الاثنين الباقيين.

عثمان: إذن ما قيمة الفرار من الجدار؟

أحمد: إنني أتصوَّر أنه في حالة فشل من سيخرج في إنقاذ الاثنين الآخرين، فعليهما القيام بمحاولة الفرار عن طريق هذا الجدار، إن الشلال قريبٌ، وتدفق المياه يؤثر في الجدار؛ لهذا وضعوا هذا البلاط، ولكنه لن يصمد طويلًا؛ لأنه لن يجف.

عثمان: فهمت ... وعلينا أن نقرِّر من سيخرج منا.

أحمد: اخرج أنت ...

عثمان: لا ... أنت أفضل!

أحمد: اذهب، وأرسل لي «قيس» لأتفاهم معه.

عاد «عثمان» إلى الغرفة، وجاء «قيس» وحدثه «أحمد» نفس الحديث الذي دار بينه وبين «عثمان» ... وقال «قيس»: إنني أوافق على أن تخرج أنت.

أحمد: إن ذلك يُلقي عليَّ مسئولية ضخمةٍ؛ فأنا بالطبع لن أُحضِر لهم نسخة الفيلم المطلوبة ... ولكن سأحاول إنقاذكما.

قيس: وما هي خطتك؟

أحمد: حتى الآن ... لا أدري، في الأغلب سوف أقابل رقم «صفر» وأحدِّثه بما جرى، وهو وحده صاحب الحق في التصرُّف.

انتهى الحديث، وعاد الاثنان إلى الغرفة، ولم تمضِ دقائق حتى جاء أحد الحراس وفتح الباب، ودعاهم لتناول الطعام.

قضى الشياطين الثلاثة ليلة هادئة ... تمتعوا فيها بنومٍ عميقٍ ... فلم يكن الموقف ميئوسًا منه فـ «أحمد» سوف يخرج إلى العالم، يبذل جهدًا لإطلاق سراح زميليه، كما أن هناك فكرة ثقب جدار دورة المياه.

وهكذا استيقظ الثلاثة في الصباح في منتهى النشاط، وبعد أن اغتسلوا اتجهوا مرة أخرى إلى غرفة الطعام؛ لتناول الإفطار، وجاء «كيرش» فتناوله معهم ... وبعد أن انتهى أخذوا يحتسون الشاي، وتحدث «كيرش» قائلًا: هل اتفقتم على من سيذهب لإحضار نسخة الفيلم؟

ردَّ «عثمان»: نعم!

كيرش: عظيم ... من هو؟

قال «أحمد»: أنا ...

كيرش: عظيم ... أريد أن أوضِّح لك أهمية عودتك بالفيلم ... إن حياتي معلقة بعودتك؛ فإنني، كما أوضحت لكم، مندوبٌ لمنظمةٍ كبرى، وهذه العملية من اختصاصي باعتباري مندوب المنظمة في الشرق الأقصى ... وفشلي فيها يكلِّفني حياتي.

وسكت لحظات ثم قال: وبالطبع فإنني لا أنوي أن أخسر حياتي مقابل لا شيء.

كان تحذيرًا واضحًا بأن أي تلاعب من جانب الشياطين يعني القضاء على «عثمان» و«قيس» فورًا ... وكان «أحمد» بالطبع يضع هذا في حسبانه.

وعاد «كيرش» يقول: لقد أعددنا للمسافر كل شيءٍ ... تذاكر السفر والإقامة ليومٍ في روما ثم القاهرة ... إنني لا أدري ما هو مقرُّ المنظمة التي تتبعونها، ولكن من المؤكد ما دمتم من العرب أن يكون محور الارتكاز هو القاهرة باعتبارها أكبر عاصمة عربية.

لم يرد أحدٌ من الشياطين الثلاثة ... فقد كان واضحًا أن «كيرش» يحاول الحصول على معلوماتٍ عن مقر الشياطين الـ «١٣».

قال «أحمد» مبتعدًا عن موضوع المكان: لقد اختارني الزميلان للسفر.

نظر «كيرش» إليه في إمعان، ثم قال: بعد ساعة ستحملك السيارة إلى المطار. ثم قام واقفًا ... والتفت مرة أخرى إلى «أحمد» وقال: لا أريد أن أكرِّر تحذيراتي لك، ولكن يجب أن تعلم أن حياة زميلَيْك رهن بعودتك بالفيلم ... هذه المرة بدون ألاعيب، فلن يخرج أحدٌ من هذا المكان إلا بعد طبع الفيلم، والتأكُّد من صحة المعلومات التي طلبناها.

ومشى «كيرش»، وجلس الشياطين يتحدَّثون في همسٍ ... وبعد ساعةٍ بالضبط، ظهر أحد الرجال، ووقف باحترامٍ قائلًا: إن السيارة جاهزةٌ.

وتبادل الشياطين الثلاثة السلام ... كان هناك احتمالٌ قويٌّ بألَّا يرى أحدهما الآخر بعد ذلك ... ولكنهم كانوا يبتسمون.

أسرع «أحمد» إلى السيارة، كانت عيناه تراقبان كل ما حوله ... فقد كانت أية معلومةٍ — مهما كانت ضئيلةً — مهمةً للأيام القادمة، وقطعت السيارة الطريق التي أتَتْ منه، ثم خرجت من الريف الأخضر والجبال العالية إلى الطريق الرئيسي فأطلق السائق لها العنان، وسرعان ما كانوا يسيرون بمحاذاة مدينة «طوكيو» متجهين إلى المطار. تمَّت الإجراءات بسرعة، واتجه «أحمد» إلى الطائرة التابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية، وسرعان ما كان يجلس في مقعده، يربط الحزام، وينظر من النافذة، وكان الحراس الثلاثة الذين صحبوه في السيارة واقفين ... وعرف على الفور أنهم يُريدون التأكُّد من أنه استقل الطائرة وأنه ذاهبٌ إلى «روما».

بعد نصف ساعةٍ بدأَت الطائرة تهدر على أرض المطار، ثم تطوي عجلاتها وتنطلق في الجو ... واستسلم «أحمد» للتفكير العميق ... إن أمامه مهمةً صعبةً لا يدري بالضبط مداها ... هل يعود مرةً أخرى من «روما» إلى «طوكيو» ليحاول تخليص «عثمان» و«قيس»؟ هل هذا ممكن أم أنه يغامر بحياته وحياة زميليه؟ هل يذهب إلى مقر الشياطين الـ «١٣» ويعرض الأمر كله على رقم «صفر» ويترك له حرية التصرف؟ إن المسألة في هذه المرة ليست كما كانت في مرات كثيرةٍ سابقةٍ ... مسألة حياة أو موت ... وقراره في هذه المرة لا يتعلق به وحده، ولكن يتعلق بحياة «عثمان» و«قيس».

أخذت الأفكار تتسابق في رأسه، ولم يدرِ كيف يستقرُّ على واحدةٍ منها ... وقرَّر أن يخرج الحقيبة اليدوية الصغيرة التي أعطوها له، وفيها برنامج رحلته إلى «روما» واسم الفندق، وموعد الإقلاع من مطار «روما» ... وعندما فتح الحقيبة فوجئ بمظروفٍ أسود اللون مغلق ... أخذ يُقلِّب فيه لحظاتٍ ثم فتحه، فوجد تحذيرًا من المنظمة في جملةٍ قصيرةٍ حاسمةٍ ...

لا تحاول اللعب، إن الموت هو الثمن.

وأحسَّ بضيقٍ خفيٍّ، ولكنه أخذ يقلِّب في بقية الأوراق ... ولا يدري كم مضى من الوقت بعد أن تناول الغداء لكن فجأة أحسَّ بالطائرة تهتز ... ونظر من النافذة فشاهد عاصفةً رعديةً تجتازها الطائرة، وتذكَّر أنه في مثل هذا الموسم يكون الطقس سيئًا فوق

إيطاليا، ومعنى وجود الطائرة في العاصفة أنهم اقتربوا من «روما»، وفعلًا انطلق مكبر الصوت يعلن بصوتٍ ناعمٍ للركاب أن الطائرة تقترب من المطار.

اجتازَت الطائرة العاصفة وأخذَت تنزل تدريجيًّا في جوٍّ ممطر، وأخذ «أحمد» يرقب قطرات المطر وهي تتساقط على جناح الطائرة في ضوء البرق، ثم أخذت الطائرة تحوم فوق المطار … ثم انزلقَت على الأرض وتوقَّفت.

خرج «أحمد» مع الخارجين، وعندما وصل إلى صالة المطار تلفَّت حوله، فأدرك أن رحلته لن تتمَّ … كانت هناك بضعة وجوه يستطيع أن يقرأ ملامحها جيِّدًا، وجوه تلمع فيها عيونٌ شريرة ترقبه. وتنبهت فيه حواس المغامر، وأخذ يفكر، ولكن تفكيره لم يَطُل … إن هؤلاء الرجال لا بد أن يكونوا من أعوان «كوجانا»، ذلك المجرم الضخم الذي استولى على الفيلم من «إلهام» … ولكن «أحمد» استردَّه منه في «سنغافورة» … هؤلاء إذن هم رجال «كوجانا».

الزعيم المريض!

سار «أحمد» هادئًا واجتاز باب مطار «ليونارد دافنشي» الدولي، ثم ذهب إلى أحد أكشاك بيع الجرائد، وأخذ ينتقي بعض الصحف والمجلات، ولكنه في الحقيقة كان يرقب الرجال الذين كانوا يتحرَّكون من بعيدٍ، ولكن تحرُّكاتهم لم تكن لتخدع «أحمد»، وحمل الصحف، وبدلًا من الاتجاه إلى الفندق اتجه إلى كافتيريا المطار وجلس وتظاهر بقراءة إحدى المجلات بينما عيناه تتجولان هنا وهناك، كان يفكِّر في حلٍّ لهذه المشكلة الطارئة، واستقرَّ رأيه على فكرةٍ لمعت في رأسه، وقام فورًا لتنفيذها. لقد اتجه إلى مكتب شركة الطيران البريطانية، وطلب حجز تذكرة إلى القاهرة في نفس الليلة.

قالت عاملة التذاكر: ولكن يا سيدي ... إن التذكرة محجوزةٌ غدًا على الطائرة التي تُغادر المطار في التاسعة صباحًا!

أحمد: إنني مضطرٌّ للسفر هذه الليلة، هناك مسائل عاجلة ...

قالت العاملة: إن الطائرة القادمة من «لندن» ستتوقف هنا في التاسعة تمامًا، وسوف أتصل بالمركز الرئيسي لأرى ما إذا كان أحد الركاب قد تخلَّف عن الحضور، إن قائمة الركاب أمامي كاملة العدد، ولكن إذا كان أحد الركاب قد تخلَّف ... فسأجد لك مكانًا ...

أحمد: أشكركِ كثيرًا ... إنني في الانتظار بالكافيتريا ...

وعندما استدار «أحمد» ليعود إلى الكافيتريا وجد شخصًا يقف خلفه تمامًا ... كان من الواضح أنه استمع إلى حديثه، ولكنه لم يهتم ... إن عصابة «كوجانا» لا يمكن أن تفكر في خطفه في المطار المزدحم؛ ولهذا عاد يسير متمهلًا إلى الكافيتريا، وطلب بعض الساندويتشات، وكوبًا من الشاي ...

جلس «أحمد» مكانه، ومضت نحو نصف ساعة، ثم سمع حوله دقات حذاء ثقيل ورفع عينيه، فشاهد رجلَيْن من رجال الشرطة الإيطالية يتجهان نحوه، ثم وقفا أمامه فقال أحدهما: معذرةً يا سنيور ... ولكنك مطلوبٌ لدقائق قليلةٍ في مبنى شرطة المطار!

أحمد: لماذا؟!

الشرطة: هناك اشتباهٌ في جواز السفر الذي تحمله يا سيدي ... اشتباه أن يكون مزيفًا!

أحمد: عجبًا، لقد مررت بضابط الجوازات ولم يخطرني بذلك!

الشرطي: لا أدري يا سنيور ... على كل حال لن نأخذ من وقتك سوى دقائق قليلة ...

لم يجد «أحمد» مفرًّا من الذهاب مع الرجلين، على أن يعود بعد ذلك للسؤال عن التذكرة، وهكذا قام وسار بينهما، ووجدهما يتجهان إلى خارج المطار ...

فقال: أين قسم الشرطة؟

الشرطي: إنه في المبنى المجاور للمطار يا سنيور!

خرج «أحمد» من المطار إلى الساحة الواسعة، كان المطر يهطل بشدة، والسماء ترعد، وأحس بقشعريرةٍ في بدنه، وسار بين الرجلين، ولكنه لم يستمر سوى بضع خطواتٍ؛ فقد توقفت سيارة بجوارهم، ثم فُتح بابٌ فيها، وقبل أن يدري «أحمد» ماذا حدث ... كان أحد الشرطيين قد وضع مسدسًا ضخمًا في أضلعه وقال مهددًا: اركب!

أدرك «أحمد» عدة أشياء في وقتٍ واحد؛ أن رجلَي الشرطة مزيفان، أنه مخطوف للمرة الثانية في ٤٨ ساعة، وأنه كان ساذجًا عندما صدَّق كلامهما.

أدرك هذا كله، ولكن بعد فوات الأوان، وظلَّ المسدس بين أضلعه، بينما انطلقت السيارة في طريق المطار إلى «روما»، وتذكر «أحمد» مغامرة «ثلاث دقات وكلمة واحدة»، لقد جرت في إيطاليا أيضًا، ولكن في الشمال، في «ميلانو»، أما الآن فهذه مغامرة ثانية، ولكن في «روما» عاصمة إيطاليا.

كان الصمت يشمل الموجودين كلهم؛ السائق، والشرطي المزيف الجالس بجواره، والشرطي المزيف الجالس بجوار «أحمد»، ولم يكن يسمع في الصمت إلا صوت المحرك؛ محرك السيارة، والعجلات وهي تمرق على الأرض الزلقة، ومضت نصف ساعة، وأحسَّ «أحمد» بالسيارة تهتز، ثم تنحرف يمينًا وتدخل في طريق فرعي، وسمع صوت آلاتٍ بعيدةٍ تدور، وعرف أنه بالقرب من أحد المصانع.

توقفت السيارة بعد أن دارت دورةً واسعة، ووجد «أحمد» نفسه يدور أمام ساحة قصرٍ مضاء، وسمع صوت سلاسل تُرفع، ثم فُتح باب حديدي ضخم، ومرقت السيارة

بعد أن تحدث السائق مع البواب، ولاحظ «أحمد» على أضواء القصر أنه يُشبه قلعةً من القلاع القديمة على الطراز الروماني، وصعد سلمًا من الرخام بين رجلَيْن مسلحَيْن حلَّا محل الشرطيين، ومرة أخرى سمع حديثًا في جهاز تليفون على الباب قبل أن يفتح.

ودخل إلى القصر، كانت الصالة من فرط ضخامتها تُشبه ملعبًا مستديرًا، وقد تدلَّت عشراتٌ من الثريات تُضيء المكان، وظهر رجلٌ في ثياب الخدم، وأشار إلى غرفةٍ تحت السلم الداخلي، وسار الثلاثة «أحمد» والحارسان إلى الغرفة، ودقَّ أحدهما الباب ودخل، وبعد لحظاتٍ دخل «أحمد».

كانت غرفة مكتب ... ذكَّرته بغرفة مكتب «مارتينز» في الأرجنتين، ولكن الرجل الجالس خلف المكتب كان يبدو قليل الأهمية بالنسبة للرجل الأسطورة «مارتينز».

قال الرجل على الفور: إنك يا سنيور ضيفنا ... ونحن نعامل الضيوف بكل احترامٍ، كل ما أرجوه أن تستمع إلينا جيدًا!

وقبل أن يرد «أحمد» فُتح باب جانبي وظهر «كوجانا» بوجهه الذي يُشبه وجه الغوريللا ... وقوامه الضخم غير المنسق ... «كوجانا» الذي هزمه «أحمد» في جزيرة «سنتشوزا» واستعاد منه الفيلم بعد أن حصل عليه من «إلهام» ...

كانت عينا «كوجانا» تقذفان بالشرر، وهو يرى المغامر الشاب الذي هزمه تحت أشجار «سنتشوزا» وقال بصوت خشن: إذن فقد وقعت أيها الفأر الصغير! ...

قال الرجل الجالس خلف المكتب: صمتًا يا «كوجانا» ... إن المسألة خرجَت من يدك الآن، إن الزعيم هو الذي سيتولَّى الحديث معه ...

كوجانا: بيني وبينه ثأر لا بد من أن أحصل عليه.

الرجل: دعك الآن من هذه التخاريف.

ورفع الرجل سمَّاعة التليفون الداخلي، وتحدَّث فيه همسًا، كان يبتسم كأنه قد حصل على أثمن جوهرةٍ في العالم، وبعد لحظات من الحديث، وضع السماعة وقال لـ «أحمد»: سيراك الزعيم بعد لحظات، إنني أنصحك بالاستماع إليه ...

أحس «أحمد» بالضيق ... فهذه المغامرة فيها أحاديث كثيرة وأكاذيب ومحاولات لا معنى لها، لم يرد على الرجل ولكنه طلب كوبًا من الشاي، سرعان ما أحضروه، وأخذ «أحمد» يرشفه على مهل، ولم يكن يفكِّر في شيء، لقد ترك التفكير لحين لقاء هذا الزعيم، ولم يَطُل انتظاره، فبعد لحظاتٍ دقَّ جرس التليفون، وبعد أن تحدَّث الرجل لحظاتٍ قال لـ «أحمد»: تعال معي ...

وأنهى «أحمد» كوب الشاي على مهلٍ بينما كان الرجل يقف منتظرًا ينظر إليه في دهشةٍ ... ثم قام «أحمد»، وسار مع الرجل، اجتاز صالة القصر الواسعة، ولاحظ «أحمد» أنها تعجُّ بالحراس، ثم ركبا مصعدًا فاخرًا لا يتسع لأكثر من شخصَيْن صعد بهما متمهلًا إلى الدور الثالث من القصر ثم توقف، وخرجا، سارا في دهليزٍ طويلٍ يقف في كل طرفٍ منه حارس مسلح، ثم توقف الرجل أمام أحد الأبواب، وشدَّ قامته، ودق الباب ثم دخل، وراء «أحمد».

دهش «أحمد» عندما وجد نفسه في غرفة نوم واسعة لم يرَ لها مثيلًا من قبل، كانت مزدانةً كلها بدرجاتٍ من اللون الأزرق، سواء الستائر أو السجاجيد أو الفراش الفخم، وعلى الفراش وتحت الأغطية الزرقاء تمدَّد رجلٌ ضئيل الحجم، شاحب اللون، ضخم الرأس، لامع العينين بطريقةٍ مدهشةٍ، وقد استند على بعض الحشايا البيضاء المطرَّزة بالأزرق، وانحنى الرجل القادم مع «أحمد» وهمس بصوتٍ مسموعٍ للنائم في الفراش: هذا هو الشاب المطلوب أيها الزعيم.

أشار الرجل بإصبعه فانصرف المتحدث على الفور، ثم أشار لـ «أحمد» ليجلس على كرسي بجوار الفراش، وأخذ ينظر إليه بعينيه النافذتين لحظات.

ثم قال: تستطيع أن تناديني «بالوتشي»! ...

تذكَّر «أحمد» على الفور هذا الاسم ... «بالوتشي» «فوتوريو بالوتشي» رجل العصابات الرهيب، زعيم مافيا وسط إيطاليا التي تسيطر على النشاط الصناعي الضخم ... ويقدَّر عدد أفرادها ببضعة ألوفٍ.

وتذكَّر «أحمد» المعلومات التي درسوها عنه في المقر السري «ش. ك. س» وأحس برعدةٍ في أعماقه؛ فهذا الرجل الشاحب المتمدد تحت الأغطية الزرقاء من أكثر زعماء العالم السفلي بطشًا وأكبرهم نفوذًا ...

عاد «بالوتشي» يقول بصوته الناعم: هل تعرفني أيها الشاب؟ إن من يقرأ ملامح وجهك الآن لا يشك لحظةً في أنك تتذكر بعض المعلومات عنِّي ... فماذا قالوا لك؟

تحدَّث «أحمد» لأول مرةٍ منذ وصل القصر قائلًا: ليس لك صيتٌ ذائعٌ في عالم الجريمة يا سنيور «بالوتشي»!

ابتسم الرجل ابتسامةً واهنة وقال: أرجو ألَّا يكونوا قد أساءوا الحديث عنِّي ...

لم يرد «أحمد» على هذه الملاحظة ومضى «بالوتشي» يقول: إنني لم آتِ بك إلى هنا لنتحدث عن نفسي، ولكني في الحقيقة أحببت أن أراك بعد أن استطعت التغلُّب على

«كوجانا» الغوريللا في جزيرة «سنتشوزا» ... إن ذلك شيءٌ مدهش يا بني، وإذا كنت تعمل مع أية منظمة مقابل النقود، فإنني أعرض عليك أي مبلغ تريده أو تحدده مقابل أن تنضمَّ إلينا!

قال «أحمد» وقد أحس أنه يريد أن يسمع أكثر من هذا الرجل الرهيب: لقد عرضوا عليَّ كثيرًا هذا العرض يا سنيور «بالوتشي» ... والمشكلة أنني لا أعمل من أجل المال ... ولكن من أجل المبدأ.

بالوتشي: نعم يا بني ... إنها بذلك مشكلة حقًّا ... فإن الرجل الذي يرفض المال رجلٌ خطيرٌ.

وصمت «بالوتشي» لحظاتٍ ثم قال: إذن ماذا تريد أيها الشاب؟

قال أحمد: إنني أريد أن أسألك هذا السؤال يا سنيور «بالوتشي» ... لقد اختطفت ومن حقي أن أعرف لماذا؟

قال «بالوتشي»: لا تدعني أشكُّ في ذكائك ... إنك تعرف بالقطع لماذا أتينا بك إلى هنا.

أحس «أحمد» بالخجل؛ فليس الحديث مع «بالوتشي» بهذه الطريقة مناسبًا، وأنقذه «بالوتشي» فأكمل حديثه قائلًا: إنك تتصور أننا مهتمون بهذا الفيلم الذي حصل عليه «كوجانا» ثم استعدته أنت، ثم حصلت عليه عصابة الوحش الأصفر! ...

كانت هذه أول مرة يسمع فيها «أحمد» هذا التعبير، «الوحش الأصفر»، ومضى «بالوتشي» يقول: وقد استطعتم خداع الوحش الأصفر ... وكما علمنا أن الفيلم قد احترق بمجرد محاولة تصويره، إنها خدعةٌ بارعةٌ وأنا أهنِّئكم عليها.

ابتسم «أحمد» ... فقال «بالوتشي»: إن المسألة لم تعد مسألة الفيلم ... إنه يساوي حقًّا بضعة ملايين من الجنيهات، ولكن المهم الآن هو كرامة المافيا، إن حصول الوحش الأصفر على الفيلم يعني أنه هزمنا، ونحن لا نقبل أن يهزمنا أحد، إذن فالفيلم ليس هو القضية، القضية الآن من الذي يستطيع الحصول عليه؟! ... عصابة الوحش الأصفر ... أم عصابة المافيا ... فما رأيك؟

نمور وأسود وتماسيح

أخذ «أحمد» يفكر في حديث «بالوتشي» لقد وقع الآن بين فكي الكماشة، أو بين فكي الأسد ... عصابة «الوحش الأصفر» من ناحية، وعصابة «المافيا» من ناحيةٍ أخرى، وعاد «بالوتشي» ... يسأل: ماذا ترى يا بني؟

قال «أحمد» على الفور: إنك تضعني في موضعٍ حرجٍ، وكأنني أحمل الفيلم في جيبي، ولو كان الأمر كذلك لما احتجتم إلى خطفي، إن الفيلم الآن في مكانٍ بعيد عن متناول أيدينا وليس لي أي سيطرةٍ على من يملكونه ... إنه ملك للدول العربية ... فكيف تتوقع أن أحصل عليه؟

رد «بالوتشي» بشيءٍ من القسوة: إنها مشكلتك يا بني ... إن في إمكانك أن تُرسل برقيةً من هنا إلى المنظمة التي تعمل بها؛ ليرسلوا لك الفيلم مقابل حياتك.

أحمد: قد لا تكون حياتي بهذه الأهمية يا سنيور «بالوتشي»، ربما تفضِّل المنظمة التي أعمل بها أن تتركني لمصيري ...

أشاح «بالوتشي» بيده وقال: دعنا نُجرب، المهم أن تكتب البرقية.

وأدار «بالوتشي» رأسه إلى الناحية الأخرى، وعرف «أحمد» أنه بهذا ينهي المقابلة، فوقف، ولكن «بالوتشي» عاد يقول: عندما كنت شابًّا في مثل سنك كان ما يهمني هو مصلحتي فقط، فدعك الآن من التفكير في المثل العليا!

تحرك «أحمد» خارجًا، ولم يتحدث «بالوتشي» مرة أخرى، حتى غادر «أحمد» الغرفة الزرقاء، ووجد حارسًا عند الباب اصطحبه إلى المكتب في الدور الأرضي، كان الرجل الذي استقبله أول مرةٍ ما زال موجودًا، وعندما دخل «أحمد» دفع إليه بنصِّ برقيةٍ مكتوبةٍ،

وعرف «أحمد» أن «بالوتشي» قد اعتبر ما اقترحه عن البرقية سيتم تنفيذه. فأمسكها «أحمد» وأخذ يقرؤها على مهلٍ:

أرسلوا نسخة أخرى من الفيلم ... سيتصل مندوبكم بمجرد وصوله إلى «روما» برقم تليفون ٣٥٢٢٢-٢٣٦. المهلة المحددة للوصول ثلاثة أيام ...

وقدم الرجل قلمًا لـ «أحمد» منتظرًا توقيعه، ولكن «أحمد» لم يمسك بالقلم وقال: أريد أن أقابل «بالوتشي» ... مرة أخرى!

قال الرجل بصراحة: إننا لا نهزل أيها الشاب ... والسنيور «بالوتشي» قد نام الآن، ولن تستطيع أن تراه إلا بعد ثلاث ساعات!

أحمد: لا بأس ... سأنتظر الساعات الثلاث!

عاد الرجل يقول: وقِّع البرقية، وضَعِ العنوان، إن هذه فرصتك الأخيرة.

أحمد: قلت لك إنني أريد مقابلة «بالوتشي»، لقد قدَّمتم شروطكم وسأقدم أنا أيضًا شروطي.

وسحب الرجل البرقية والقلم وقد احتقن وجهه غضبًا، ولكن لم يكن يملك أمام إصرار «أحمد»، إلا أن يصمت ثم دقَّ جرسًا أمامه، وظهر أحد الحراس، وقال الرجل: خذ هذا وضعه في الغرفة رقم «٩» ولا تغفل عنه ...

قام «أحمد» وتبع الحارس، كان يريد فترة يُرتِّب فيها أفكاره؛ فقد اختلطت الأمور اختلاطًا شديدًا، وبعد أن مرَّا بعدد من الدهاليز العامرة بالحراس ... وصلا إلى الجزء الخلفي من القصر، ووجد «أحمد» نفسه أخيرًا في غرفةٍ ضيقةٍ أشبه بالزنزانة، فيها فراش ومكتب وملحق بها دورة مياه خاصة.

ألقى بنفسه على الفراش، واستغرق في النوم بعد مُضي لحظات، لقد كان متعبًا ومرهقًا وفي حاجةٍ إلى تجديد نشاطه، وكان قد استقر بينه وبين نفسه على خطة خفية تعطيه فسحة من الوقت، وفجأة استيقظ «أحمد» على يد تهزه، ووجد الحارس يحمل إليه بعض الطعام والشاي، فقام واغتسل، وتناول طعامه بشهيةٍ، وعندما نظر إلى ساعته أدرك أنه نام نحو ساعتَيْن، وأحسَّ بنشاطه يتجدَّد وبذهنه يصفو.

بعد نحو نصف ساعةٍ جاء الحارس، واستدعاه لمقابلة «بالوتشي»، ووجد نفسه مرة أخرى في الغرفة الزرقاء، كان «بالوتشي» أكثر شحوبًا من ذي قبل، وكان من الواضح أنه يعاني من مرضٍ خطيرٍ، فلم يكن قد بقي من رجل العصابات الإرهابي الخطير سوى عينيه، أما جسده فقد أذابه المرض.

قال «بالوتشي» على الفور: تريد أن تقابلني، هل من جديدٍ؟!

أحمد: نعم يا سنيور «بالوتشي» ... لا أدري إذا كنتم تعرفون أن عصابة «الوحش الأصفر» تحتفظ بزميلين لي رهينة مقابل إحضار الفيلم، وهذا هو سبب الإفراج عني.

بالوتشي: نعم ... نعلم هذا جيدًا!

أحمد: إن لي شرطًا واحدًا للتعاون معكم هو الإفراج أولًا عن زميليَّ! ...

بالوتشي: تشترط؟!

أحمد: نعم ...

فكر «بالوتشي» ... قليلًا، ثم مدَّ يده ليتناول شرابًا أبيض اللون، بعدها ضغط على زر بجواره، وأمسك سماعةً صغيرة، وأخذ يتحدث في صوت واهنٍ، واستطاع «أحمد» أن يستمع إلى بضع كلماتٍ مما قاله «بالوتشي» وفهم على الفور أنه يبحث عن مساعديه لإمكانية الإفراج عن زميلي «أحمد».

وبعد لحظات وضع «بالوتشي» السماعة وقال: وإذا لم نقبل شروطك؟

أحمد: في هذه الحالة سأتصور أنكم تخافون من دخول معركة مع الوحش الأصفر!

بالوتشي: إنك تدفعنا دفعًا إلى الدخول في هذه المعركة!

أحمد: إن اللجوء إلى الخطف مسألة سهلة يمكن أن تقوم بها أية عصابة، ولكن الانتصار الحقيقي يكون بالصدام والمواجهة!

بالوتشي: إنك تذكرني بشبابي يا بني؛ فعندما كنت في مثل سنك لم أكن أعرف حَكَمًا إلا المسدس أو المدفع الرشاش.

أحمد: وماذا ترى الآن؟

بالوتشي: إن فرع «المافيا» في هذه المنطقة يقوده رجلٌ من أفضل رجالنا هو «كاسينا»، وسوف تسافر إليه مع «كوجانا» لأن «كوجانا» يعمل هناك أيضًا، وقد أعطيته التعليمات اللازمة لإنجاز المهمة.

أحمد: إذن فأنت قد وافقت يا سنيور «بالوتشي»؟

بالوتشي: لقد أعجبني الاقتراح يا بني، وكل ما أرجوه ألا تحاولوا الهرب بعد ذلك، وعلى كل حال فإن رجالي هناك أقوياء، وليس معنى أنك انتصرت مرة على «كوجانا» أن في إمكانك الانتصار عليهم جميعًا.

وقال «أحمد» متسائلًا: ومتى نسافر يا سنيور «بالوتشي»؟

بالوتشي: إنهم يتخذون الإجراءات الآن للسفر، وأعتقد أنكم ستسافرون خلال ساعات.

أشار «أحمد» بيده مودعًا «بالوتشي» وخرج، فوجد الحارس في انتظاره، نزل معه إلى غرفة المكتب، وكان خمسة من رجال «بالوتشي» من بينهم «كوجانا» يجلسون معًا يتحدثون، فاختار «أحمد» ركنًا جلس فيه وأخذ يرقبهم.

كانت خواطره تدور حول ما سيحدث في الساعات أو الأيام القادمة، هذه أول مرةٍ يتعاون فيها مع عصابة من أجل زملائه، ولا أحد يستطيع أن يتنبَّأ بالنتائج، ولكن لم يكن أمامه ما يفعله سوى هذا.

بعد جلوسه بدقائق استدعاه «كوجانا» قائلًا: تعال لحظات!

قال «أحمد» دون أن يقوم من مكانه: في إمكاني أن أستمع وأنا هنا!

ثار «كوجانا» قائلًا: إنك يجب أن تسمع كلامي!

أحمد: إنني أسمعه وأنا هنا …

تدخَّل الحاضرون لتهدئة «كوجانا» الذي قال: لقد تمَّ حجز التذاكر … سنطير بعد ساعةٍ ونصف، سننزل أولًا في «سنغافورة» لمقابلة زعيم المنطقة هناك … فهل عندك اعتراض؟

أحمد: أبدًا …

كوجانا: إذن استعد للسفر …

أحمد: مستعد!

كوجانا: هيا بنا!

سار «كوجانا» في المقدمة وخلفه «أحمد»، وحوله رجلان مسلَّحان … وخلفه رجل آخر، حلقة محكمة من المراقبة … ولكن «أحمد» لم يكن يفكر في الفرار؛ فهذه فرصةٌ ذهبيةٌ لإنقاذ «عثمان» و«قيس» من قبضة «الوحش الأصفر» …

كان الظلام يشتمل مدينة «روما» في هذه الساعة المتأخرة من الليل … ولم يكن قد بقي على طلوع الفجر سوى ساعةٍ أو أقل، وأخذت السيارة الضخمة التي حملتهم من أمام القصر تطير على طريق المطار، ومضَت الإجراءات عاديةً حتى ركب الرجال الأربعة ومعهم «أحمد» الطائرة، وسرعان ما كانت تجتاز سماء إيطاليا جنوبًا إلى «سنغافورة»، وجلس «أحمد» صامتًا مستسلمًا لراحةٍ ذهنيةٍ وبدنية، استعدادًا للأيام القادمة.

بعد خمس ساعات من الطيران المتواصل … حلَّقت الطائرة فوق سماء الجزيرة الصغيرة … «سنغافورة» … ثم هبطت … وكان في انتظارهم سيارة سوداء حملتهم إلى الشاطئ … وفي قاربٍ كبيرٍ عبروا الممر المائي الفاصل بين «سنغافورة» و«سنتشوزا» وتذكَّر

«أحمد» تلك الليلة التي طارد فيها «كوجانا» في الظلام واستعاد منه الفيلم ... وعندما ساروا تحت الأشجار ووصلوا إلى المنطقة التي دار فيها الصراع، زمجر «كوجانا» ... كأنه يريد أن ينسى ذكرى الهزيمة؛ هزيمته.

بعد سير استغرق نحو عشر دقائق وصلوا إلى أبواب حديقة ضخمة ... نمت حولها الأشجار الاستوائية فأخفَتْها عن العيون، وسمع «أحمد» همسات ثم فُتح الباب، ولم يكد يصل إلى منتصف الحديقة حتى سمع زمجرةَ حيوانٍ مفترسٍ محبوس ... وتلفَّت «أحمد» حوله حتى استقرَّت عيناه على نمرٍ مخطط من النوع الضخم ... ولم يكن النمر وحده ... كانت معه أنثاه ... ثم دارت عينا «أحمد» في المكان كله، وأدرك أنه دخل أغرب مكان شاهده في حياته، كانت الحراسة عبارة عن بشرٍ مسلحين، وعن عشراتٍ من الحيوانات المتوحشة التي إذا أُطلِقت من أقفاصها افترسَتْ كل ما يصادفها ...

وكان هناك حمام كبير للسباحة ... في جانب منه معزول عن بقية الحمام شاهد ثلاثة تماسيح من أضخم التماسيح التي شاهدها في حياته ... وكان الرجال الذين صحبوه قد ابتعدوا عنه ... فلم يكن هناك داعٍ لحراسته ...

ووجد «أحمد» نفسه يتجه إلى مجموعة من الرجال يجلسون حول مائدة صغيرة ... وفي وسطها جلس رجل شديد الطول، قد وضع ساقًا على ساق ... وقد جلس بجواره على الأرض فهد أسود كان يطعمه بيده ... وقال أحد الرجال مشيرًا إلى «أحمد»: هذا هو الشاب الذي أرسله «بالوتشي» ...

ورفع الرجل النحيف الطويل القامة عينيه إلى «أحمد» ونظر إليه ... باستهتار ... كان واضحًا أنه شديد الثقة فيما حوله ... وأحسَّ «أحمد» بالضيق والتوتر.

معركة الفيلَّا السوداء!

قال الرجل على الفور: قالوا لنا إن لك صديقَيْن محبوسَيْن عند عصابة «الوحش الأصفر» ... وإنك تريد إطلاق سراحهما!

رد «أحمد»: هذا كلامٌ صحيحٌ ...

قال الرجل: لقد وضعنا خطة الهجوم ... وستغادر طائرةٌ خاصة جزيرة «سنتشوزا» هذا المساء؛ لتصل إلى «طوكيو» بعد ثلاث ساعات ... وسيتم الهجوم فورًا ... هل تحب أن تشترك فيه؟

رد «أحمد»: بالتأكيد ... فأنا دخلت هذا المكان ... وبعض التفاصيل تصبح مهمة.

الرجل: إذن ... أمامك ساعتين للراحة ... ثم تسافر ...

وعاد الرجل يطعم الفهد الأسود ... واتجه «أحمد» إلى غرفة تُطلُّ على حمام السباحة ... كانت بسيطةً ولكن مفروشة بفخامةٍ بالغة ... فتمدَّد على الفراش ووضع رأسه فوق كفيه، واستسلم لراحةٍ ممتعة ... وتفكير عميق ...

أحضر أحد الخدم طعامًا خفيفًا، وبعض العصير ... تناولها «أحمد» بشهية ... وبعد ساعةٍ تقريبًا كان قد ارتاح تمامًا، فخرج يتجول في المكان ... كان شيئًا مدهشًا لم يره من قبل ... حصن حقيقيٌّ تحرسه الوحوش الآدمية ... ووحوش الغابة ... أسواره من الأشجار الكثيفة ... ودار «أحمد» حتى وصل إلى باب ... استطاع أن يرى منه المحيط وعلى الشاطئ القريب كان يقف يخت فاخر أشبه ببارجة ... أخذ «أحمد» يتأمله بإعجاب وهو يقف تحت الشمس بلونه الأبيض ونوافذه الزرقاء ... كأنه إوزة بحرية تقف مختالة فوق الموج الخفيف.

لم يطل تأمل «أحمد» لليخت ... فقد حضر أحد الحراس قائلًا: إن الزعيم يريد أن يراك.

سار «أحمد» خلف الحارس، وقاده إلى داخل المبنى الرئيسي ... وفي غرفة شديدة الفخامة كان يجلس الرجل النحيف، ولكن لم يكن معه الفهد الأسود ... قال الرجل مشيرًا إلى مقعد أمامه: اجلس ... إننا نريد أن نتحدث ...

وأشعل الرجل سيجارًا طويلًا ثم قال: إن ما أريد أن أقوله لك هو أننا لا نهزل ... ولا بد أن «بالوتشي» قد حدَّثك عنِّي ...

لم يرد «أحمد» ... فمضى الرجل يقول: ستعودون أنتم الثلاثة إلى هنا ... وستبقون حتى يصل الفيلم ... فإذا لم يصل فستكونون طعامًا للوحوش أو التماسيح ...

قال «أحمد»: من الأفضل ألَّا تهددني ... إن من يعمل في هذا الميدان لا يهمه أية أنياب تلتهمه، والموت بالرصاص كالموت بين فكي أسد ...

قال الرجل: اسمي «كاسينا»، وتستطيع أن تناديني بهذا الاسم ... فهل اتفقنا؟

أحمد: أظن أننا اتفقنا يا سنيور «كاسينا» ...

كاسينا: عظيم ... سنلحق بالطائرة الآن!

أحمد: ألا تطلعني على خطة الهجوم؟

كاسينا: لا داعي لهذا ... إن رجالنا هناك مستعدون لهذه الجولة ... فاترك لنا حق الانتصار على «الوحش الأصفر» ...

قال «أحمد» من مكانه ... وسمع صوت محرك السيارة يقف بالباب الخارجي ... وبعد دقائق كان يسابق الريح مرة أخرى إلى مطار «سنغافورة» الدولي ... وحملته الطائرة هو والرجال الأربعة الذين جاءوا معه من إيطاليا ... «كوجانا» والثلاثة الآخرين.

هبطوا مطار «طوكيو» قرب منتصف الليل، كانت في انتظارهم سيارتان من طراز «مازدا» الكبيرتان ... وقال «كوجانا»: سنهاجم الآن ...

أحمد: كم عددنا؟!

كوجانا: ثمانية وبك نصبح تسعة!

لاذ «أحمد» بالصمت ... كان يفكر في «عثمان» و«قيس» ... وكيفية إنقاذهما أولًا من براثن «الوحش الأصفر» ... ثم بعد ذلك من أنياب «كاسينا» ولم يكن أمامه إلا أن يترك كل شيءٍ للظروف ...

وصلت السيارتان إلى مشارف الطريق الفرعي المؤدِّي إلى الفيلا السوداء التي بها «عثمان» و«قيس» ... ثم أدار السائقان عجلة القيادة ... وانزلقت السيارتان إلى حضن الجبل وقال «كوجانا»: سننزل هنا، ونذهب سيرًا على الأقدام.

ثم أُنزِلت كمية ضخمة من مختلف أنواع الأسلحة من السيارتَيْن ... بنادق سريعة الطلقات ... ورشاشات ... وقنابل يدوية ... جهاز تفجير على البعد ...

وحمل كل واحد من الرجال سلاحه ولاحظ «أحمد» أنهم لم يعطوه أي سلاح ...

فقال لـ «كوجانا»: أمركم غريب ... تريدون مني الذهاب إلى هذه المعركة وأنا أعزل بلا سلاح؟!

رد «كوجانا» بخشونة: وماذا تنتظر منا؟ هل نعطيك مدفعًا رشاشًا لتضربنا به في ظهورنا!

سكت «أحمد» ومشى الرجال في هدوءٍ تحت الأشجار الكثيفة، وبدلًا من سلوك طريق السيارات ... اختصروا الطريق ومشوا حول الجبل، ولم يمضِ أكثر من ربع ساعة ... حتى كانوا خلف الفيلَّا السوداء.

انبطح الرجال على بطونهم وبدءوا يزحفون ... كان كل شيءٍ هادئًا تمامًا ... ولكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، وبدأت العاصفة بالحارس الوحيد الذي كان يحرس الفيلَّا من الخارج؛ فقد كان يجلس على كرسي عند الباب الأمامي، وقد وضع سلاحه على ركبتيه ومضى يُدخن، فتقدم أحد رجال العصابة حتى أصبح خلفه تمامًا ثم نزل على رأسه بهراوة ضخمة سقط على إثرها دون أن ينطق بحرف واحد، وانحنى الرجل عليه وجرده من المفاتيح، ثم أشار بيده فتقدم بقية الرجال، وبسرعة عالج الرجل الباب بالمفتاح ... وفي لحظات كان الباب مفتوحًا، وتدفق الرجال ... وشاهد «أحمد» أسلوب رجال العصابات في الاقتحام وإطلاق المدافع الرشاشة في كل ركن، وعلى كل شيء، وارتفع صوت الرصاص كأنها معركة حربية ... ولما كان المكان بعيدًا عن العمران؛ فلم يكن هناك أي خطرٍ من رجال الشرطة.

اقترب «أحمد» من الباب ... وكانت عيناه على البندقية التي سقطت من الحارس فالتقطها ثم دخل الفيلَّا ... كانت معركة شرسة تدور بين رجال عصابة «المافيا» وبين رجال «الوحش الأصفر» ... ولكن كان من الواضح أن المعركة ستنتهي لصالح رجال «المافيا» ... فقد كان للمفاجأة وقعها الصاعق.

اجتاز «أحمد» الأبواب والدهاليز متجهًا إلى المصعد الصغير، وسرعان ما كان ينزل إلى حيث يوجد صديقاه ... وقد دهش أنه عندما فتح باب المصعد وخرج لم يكن صوت المعركة الدائرة فوقه يصل إلى هذا المكان السحيق تحت الأرض ... وكان الدهليز مضاء، وحارس ممدد على كرسي طويل ... وقد علق سلاحه على الحائط أمامه، لكن فجأة سمع

الحارس صوت وقوف المصعد ولكنه لم يكن يظن أن الخارج منه هو سجين الأمس ... فلم يتحرك من مكانه إلا عندما ظهر «أحمد» في الدهليز ... فقد قفز ليمسك بسلاحه ولكن «أحمد» صاح به: لا تحاول!

وتوقفت ذراعا الرجل في الهواء وقال «أحمد»: افتح الباب!

تردَّد الرجل قليلًا، ولكن «أحمد» تقدَّم منه ووضع البندقية في رقبته ... وأخرج الرجل المفاتيح ثم فتح الباب ... ودفعه «أحمد» أمامه ودخل ... كان «عثمان» و«قيس» مستغرقَيْن في النوم ... وابتسم «أحمد» رغمًا عنه، ثم أشار للرجل أن يوقظهما ... وعندما فتح «عثمان» عينَيْه ونظر حوله بدَتْ على وجهه علامات دهشةٍ شديدة، وقال «أحمد»: هيا بنا.

وأسرع «عثمان» يُوقظ «قيس» الذي قال مندهشًا: ماذا حدث؟!

أحمد: لا شيء ... إن المافيا تكرمت وقررت الإفراج عنكما! ...

ثم أضاف مشيرًا إلى «عثمان»: هناك بندقية معلقة على الحائط خارج الغرفة ... وعليك يا «قيس» أن تقوم بشد وثاق هذا الرجل ...

وأسرع «قيس» بشدِّ وثاق الرجل، بينما قفز «عثمان» إلى الخارج، وعاد ومعه البندقية ... وقال «أحمد»: هناك معركةٌ رهيبةٌ دائرة فوق ... بين «المافيا» وعصابة «الوحش الأصفر» ... يجب أن ننتهز الفرصة، ونهرب منهما معًا! ...

وأسرع الثلاثة يقطعون الدهليز ... وفجأة توقف «أحمد» وقال: ماذا بشأن دورة المياه ... أليس من الممكن النفاذ منها؟

عثمان: لقد درسناها أنا و«قيس» ... إن فتح الجدار والنفاذ منه يحتاج إلى وقتٍ طويلٍ ...

وعاود الثلاثة السير حتى وصلوا إلى المصعد ... فركبوه ... وحملهم إلى الدور الثالث فوق الأرض ... كانت المعركة قد هدأت ... ولم يكن هناك سوى أصواتٍ غاضبةٍ هنا وهناك، وكان المشهد يبعث على الرعب، آثار طلقات الرصاص التي حطمت كل شيءٍ ... أجسام الرجال مطروحةٌ هنا وهناك ... وكان «كوجانا» يقف في وسط الغرفة ... منكوش الشعر ... ممزق الثياب وفي يده مدفعٌ رشاش ... كاد «أحمد» يطلق عليه الرصاص لولا أن أحس بمدفعٍ رشاشٍ آخر مصوب إليه من الخلف ... خلف الجمجمة تمامًا ... وسمع «كوجانا» يقول: أين كنت؟

ردَّ «أحمد»: كنت أنقذ الزميلين ...

كوجانا: ضع سلاحك أنت وزميلك ... فأنتم محاصرون ...

ألقى «أحمد» بالبندقية التي كان يحملها، كذلك فعل «عثمان» وأشار «كوجانا» لرجاله وإذا بهم يخرجون عبوات من مواد سريعة الاشتعال، ألقوا بها في جوانب الفيلا ... ثم أشار لهم بالخروج، فخرجوا جميعًا، ومعهم الشياطين الثلاثة، وفي لحظات كانت النيران تشتعل بسرعة البرق.

أسرع الجميع إلى الخارج، ووجد «أحمد» أن السيارات قد تقدمت ووقفت أمام باب الفيلا، وركبوا، وانطلقت السيارات، ونظر «أحمد» إلى ساعته، كانت العملية قد استغرقت نحو ٤٥ دقيقة فقط، وأخذ يعد الرجال ... وعرف أن «كوجانا» قد خسر رجلَيْن في المعركة.

لم ينطق «أحمد» بحرفٍ حتى وصلت السيارات إلى المطار مرة أخرى، ووجد «أحمد» أن جميع الإجراءات قد اتخذت ليسافروا في نفس الليلة، وبعد ساعة واحدة من انتهاء العملية ... وكان واضحًا أن الخطة وُضعت بدقة ... ونُفذت بمهارة بالغة ... وخسارة رجلين في مغامرة مثل هذه ليست خسارة فادحة ... لهذا كان «كوجانا» ... واثقًا من نفسه ... شامخًا بأنفه.

ركبوا الطائرة «البوينج» وانطلقت بهم في الظلام ... كان «أحمد» يجلس بجوار «قيس» و«عثمان» ... فقال: إننا ذاهبون إلى أغرب سجن في العالم ... حراسه من الوحوش البشرية ومن وحوش الغابة ... ومن المدهش أنني في الحقيقة لم أحاول الفرار منه ... لقد أحسست أنني أريد أن أعود إلى هذا السجن مرة أخرى.

وعندما نظر إليه «قيس» و«عثمان» بدهشة أكمل حديثه قائلًا: إن «كاسينا» زعيم منطقة جنوب شرق آسيا ... رجل فريد من نوعه، وهو يعتقد أنه في معزلٍ عن الخطر ... ونريد أن نثبت له عكس ذلك ...

رسالة عند التماسيح

عندما وصلوا إلى الفيلا وجدوا أن «كاسينا» قد نام، وثار «كوجانا» فقد كان يريد أن يُقدم له تقريرًا عن العملية الناجحة، وذهب الشياطين الثلاثة إلى غرفتهم، وقام «قيس» بالبحث عن أجهزة التصنت في الغرفة فلم يجد شيئًا، وقال: إنهم لا يتجسَّسون علينا!

رد «أحمد»: ألم أقل لكما ... إن «كاسينا» شديد الثقة بنفسه.

ونام الشياطين الثلاثة، ولم يستيقظوا إلا في التاسعة صباحًا، وكان «كاسينا» يجلس في الحديقة كعادته، وبجواره الفهد الأسود يُطعمه بيده، وألقى «كاسينا» نظرةً فاحصةً على الشياطين الثلاثة، وهم يتقدمون منه ثم أشار لهم بالجلوس.

قال «كاسينا» على الفور: لقد أعددنا خطتنا للحصول على الفيلم، ولعل صديقكم — مشيرًا إلى «أحمد» — يعرف أنني لا أناقش خططي مع أحد ... والخطة بسيطةٌ للغاية وتعتمد على النوايا الحسنة عندنا جميعًا.

وسكت «كاسينا» وأخذ ينظر إلى الشياطين الثلاثة بهدوءٍ، بينما تمتد يده بالطعام إلى الوحش الأسود الجاثم بجواره، ثم قال: لن يغادر أحدكم هذا المكان حيًّا، إلا بعد أن نتسلم الفيلم.

ولم ينتظر تعليقًا منهم بل مضى يقول: إنني لا أتصرف كما تصرفت عصابة «الوحش الأصفر» ... إنهم أغبياء أن يفكروا في إرسال أحدكم إلى المنظمة التي تتبعونها، فالذي حدث أنه وقع في أيدينا ... أما أنا فخطتي كالآتي: سأرسل أحد رجالي إلى القاهرة ... سيأخذ معه رسالة إلى زعيمكم، وسأكتب أنا الرسالة حتى لا تستخدموا أية شفرة في مخاطبة ذلك الزعيم، وعليهم هناك أن يسلِّموا الفيلم إلى مندوبي ... وعندما يعود سأفرج عنكم.

قال «أحمد» على الفور: وماذا يضمن لنا أنك ستفرج عنا؟

رد «كاسينا»: كلمة شرفٍ ... إن «كاسينا» عندما يعد بشيءٍ فلا بد أن ينفذه!

وسكت لحظات ثم أضاف: هناك احتمالٌ آخر، هو أن يحاول زعيمكم المساومة برجلنا مقابلكم، أي يقبض عليه، ولا يفرج عنه إلا إذا أفرجنا نحن عنكم، في هذه الحالة سأتركه يموت، إنه شابٌّ انضمَّ حديثًا إلينا، ولا يهمنا أن يعيش أو يموت ... أما أنتم فسترون مِيتةً شنيعة لم يرَها أحدٌ من قبل ...

وأشار «كاسينا» إلى التماسيح الضخمة التي استسلمت للشمس داخل حوض السباحة ومضى يقول: لقد أعددت كل شيء ... وسيسافر رجلنا بعد ساعتين!

وأشار «كاسينا» بيده فظهر رجل معه كراسة ورق، وقال «كاسينا» مشيرًا إلى «أحمد»: والآن اكتب!

وناول الرجل الكراسة إلى «أحمد»، وأعطاه القلم، وقال «كاسينا»: نحن أسرى في يد «المافيا» أرسلوا الفيلم ثمنًا لحياتنا.

كتب «أحمد» نص الرسالة وقال «كاسينا»: والآن وقِّعوا!

وقع «أحمد» ثم «عثمان» ثم «قيس» ... وتناول «كاسينا» الورقة، وأمعن النظر فيها ثم قال للرجل الواقف: والآن استدعِ «آنجلو» ...

غاب الرجل لحظاتٍ وعاد ومعه شابٌّ ... لم يكد الشياطين يرَوْنه حتى خُيِّل لهم جميعًا أنهم رأوه من قبل، ولكن عبثًا حاولوا أن يتذكروا ... كان طويل القامة قوي العضلات، يمشي باختيالٍ وفخر، ويضع نظارة سوداء على عينيه.

قال «كاسينا»: ستأخذ هذه الرسالة إلى القاهرة.

قال «آنجلو»: فورًا يا سيدي.

كاسينا: ستأخذ رقم تليفون شخصٍ ما في القاهرة ... فاتصل به، وسلمه هذه الرسالة وانتظر ست ساعات فقط لتحصل على الفيلم ثم عُد إلينا.

والتفت «كاسينا» إلى «أحمد» قائلًا: والآن ما هو رقم التليفون؟

قال «أحمد»: ولكن رقم التليفون هذا سري جدًّا، ولا أحد يستطيع ذكره.

احمرَّ وجه «كاسينا» غضبًا وقال: لا تضيع وقتنا ... إن أي مناقشةٍ غير مجدية.

أمسك «أحمد» القلم، وكتب الرقم على الرسالة ... فقد كان منطق «كاسينا» واضحًا.

وفكر «أحمد» أن رقم «صفر» سيتصرَّف ... وأنه سوف يُغيِّر الرقم بعد ذلك.

ابتسم «كاسينا» بعد أن انتهى كل شيءٍ وقال: إن لكم مطلق الحرية في التنقل داخل الأسوار طبعًا ... ولست أظنُّ أنكم ستحاولون الفرار.

وضحك عاليًا وهو يقول: لم يسبق لإنسانٍ دخل هذا المكان أن خرج منه إلا بإذنٍ مني!

انطلق الشياطين الثلاثة إلى حوض الاستحمام ... كان منظره يُغري بساعة من السباحة، ودخلوا إلى إحدى الغرف، وطلبوا ثلاثة مايوهات ... وبعد دقائق كان الثلاثة قد ألقوا بأنفسهم في المياه الباردة، وقضوا ساعةً رائعةً نسوا فيها كل شيءٍ عن مغامرتهم، وعن هذا السجن الممتع المخيف.

في الليل دعاهم «كاسينا» إلى سهرةٍ مع رجاله ... ومما أدهش الشياطين الثلاثة أن «كاسينا» يعاملهم برقةٍ بالغةٍ ... وكأنهم ليسوا أعداء، وكل منهم يسعى للقضاء على الآخر.

وفي الصباح الباكر أخذ الشياطين الثلاثة يدرسون المكان ... كانوا يتظاهرون بأنهم يقضون وقتًا ممتعًا بين جنبات الفيلا والحديقة الواسعة، والحقيقة أنهم كانوا يدرسون الموقع دراسةً وافية بما في ذلك سور الحديقة، واكتشف «قيس» أن هناك أسلاكًا مكهربة تحيط بالسور، مخفاة بعناية تحت الشجيرات التي تغطيه ... كما اكتشف «عثمان» أن بالسور مواسير مدافع رشاشة ممكن أن تطلق أوتوماتيكيًّا من مركز تحكُّم داخل الفيلا، وعندما تابع «عثمان» هذه المواسير استطاع أن يعرف أن مركز إطلاقها موجودٌ في غرفة «كاسينا» نفسه.

قال «عثمان» معلِّقًا: إنها نموذجٌ فريدٌ لمقرٍّ عصابة ... ففيها جميع أنواع الترفيه، وأيضًا جميع أدوات القتل والدمار.

وكان موعد وصول «آنجلو» في المساء ... وجلس الشياطين الثلاثة عند باب غرفتهم وأمامهم الحديقة الواسعة في انتظار ما سيحدث، ماذا سيفعل رقم «صفر»؟ هل يُسلِّم الفيلم! هل يتركهم لمصيرهم؟! هل يحاول شيئًا ثالثًا؟!

ومضى الموعد المحدد لوصول «آنجلو» ومضت ساعة أخرى ثم ظهر «كاسينا» وهو يتمشَّى وحوله رجاله، كانوا جميعًا في حالة من الغضب المكتوم لتأخُّر «آنجلو» واقترب «كاسينا» من الشياطين الثلاثة ونظر إليهم طويلًا ثم قال: يبدو أن زعيمكم لا يهتم بمصيركم ... لقد تأخر «آنجلو» أكثر من ساعة ... وأقسم إذا لم يظهر خلال نصف ساعة أخرى ...

ولم يكمل «كاسينا» حديثه حتى وقفت سيارة أمام الباب، واستدارت العيون كلها إليها، وفتح باب الحديقة، وظهر «آنجلو».

حلَّت ابتسامةٌ محل التكشيرة على وجه «كاسينا»، واستدار ذاهبًا إلى كرسيه المفضل فجلس ومدَّد ساقيه ... وتقدم «آنجلو» منه ... بمشيته الفخور، وقوامه الفارع ... ومرة أخرى أحسَّ الشياطين الثلاثة أنهم رأوا هذا الشاب من قبل ... ولكن متى وأين؟

قال «آنجلو» وهو ينحني باحترام ويفتح حقيبته: هذا هو الفيلم يا سنيور «كاسينا»! أمسك «كاسينا» بالعلبة التي تحوي الفيلم، وأخذ يهزُّها في يده ثم قال: اذهب بها إلى المعمل ... ويجب أن تحصل على الرسومات أولًا للتأكد أن الفيلم هو الذي طلبناه.

جلس الشياطين الثلاثة صامتين، كان كلٌّ منهم يفكر ... ترى هل حقًّا أرسل رقم «صفر» الفيلم الأصلي؟ أم أن هناك خدعة مثل التي فعلها من قبل، وجعل الفيلم يحترق عندما حاولت عصابة «الوحش الأصفر» تكبيره؟ وإذا كانت هناك خدعةٌ جديدة ... فما هي؟ وهل سيخرجون فعلًا أحياء من هذه القلعة المحصنة؟

مضت ساعة تقريبًا ثم ظهر «آنجلو»، واتجه إلى «كاسينا»، وهمس في أذنه ببضع كلماتٍ وقام «كاسينا» متجهًا إلى المبنى الرئيسي، ومشى خلفه بعض أعوانه ... بينما اتجه «آنجلو» ناحية الشياطين الثلاثة، ومن خلف نظَّارته لم يكن في الإمكان معرفة ماذا يعني ذهابه إليهم، لكنه مرَّ بجوارهم تمامًا دون أن يُحدثهم، ثم تجاوزهم، ومشى ناحية التماسيح، واقترب تمامًا من الحوض ثم مضى.

نظر «عثمان» إلى «أحمد» طويلًا ... كانت نظرته تعني شيئًا لم يقله ... نعم ... وكان يفكر أن حدثًا خطيرًا وفريدًا يحدث في هذه اللحظة دون أن يُدركه أحد، فمشى «عثمان» بهدوء ناحية حمام السباحة وجلس على الحافة ... ومد يده يغازل التماسيح ... كان غزلًا مخيفًا ... فلو أطبق فم التمساح على يده لقطعها على الفور ...

ولكن «عثمان» لم يكن يفعل ذلك على سبيل الهزار أو الغزل ... فالذي لم يلمحه أحدٌ من الواقفين في الضوء هو أن «آنجلو» ألقى بشيء صغير في حوض التماسيح، وأحسَّ «عثمان» أن ذلك الشيء لم يكن عبثًا خاصةً وأن «آنجلو» استطاع بمهارةٍ أن يعطي ظهره لرجال العصابة، وهو يلقي هذا الشيء إلى التماسيح، بحيث يراه الشياطين ولا يراه رجال العصابة.

أخذ التمساح الضخم يفتح فمه ويغلقه ... وفي كل مرةٍ كان يصدر صوتًا أشبه بإغلاق بابٍ حديديٍّ ... وكان الشيء الذي ألقاه «آنجلو» أشبه بسدادة زجاجة من الفلين، وكانت تحركات التمساح قد أبعدت الشيء عن متناول يد «عثمان»، فأحسَّ بالضيق، ولاحظ أن رجال العصابة لم يعجبهم ما يفعله، فقد اتجه أحدهم إليه وقال: ابتعد عن التماسيح! لم يكن أمام «عثمان» إلا أن يستمع إلى النصيحة، فقام متثاقلًا وذهب إلى «أحمد» و«قيس» فقال الأخير: ماذا كنت تفعل؟

رد «عثمان»: حدث شيء خطير!

قيس: ما هو؟

عثمان: إن «آنجلو» ألقى بشيءٍ في حوض التماسيح ... أعتقد أنه يخصنا!

قيس: يخصُّنا نحن؟

عثمان: نعم!

مال «قيس» على «أحمد» الذي كان يجلس بجانبه، وهمس في أذنه بكل ما سمع من «عثمان»، ولمَعت عينا «أحمد»، وتذكر على الفور أين رأى «آنجلو» ... إنه لم يره هو ولكن رأى شبيهًا له ... وأدرك خطة رقم «صفر» كلها ... وابتسم ... إن الساعات القادمة تحمل الكثير، والمهم الآن الحصول على الرسالة الموجودة في حوض التماسيح ... ولكن لماذا ألقى «آنجلو» بالرسالة في حوض التماسيح الإجابة الوحيدة هي ألَّا يحصل عليها أحدٌ إلا الشياطين ... فإذا لم يحصلوا عليها فربما كانت هناك خطةٌ أخرى ... ولكن المهم الآن كيف يحصلون على الرسالة ... وقام «أحمد» فجأة وقال: ما رأيكم في حمام الآن؟ ... إنني مشتاق إلى المياه الباردة في الحوض ... وفهم «قيس» و«عثمان» ما يعني «أحمد» بهذا الكلام.

من هو «آنجلو» القادم؟

مضى الوقت دون أن يظهر «كاسينا»، واشتد الظلام عدا الأنوار التي كانت تُضيء واجهة الفيلا، وبعض الأضواء المتناثرة في أنحاء الحديقة ... أسرع الشياطين الثلاثة إلى المايوهات ثم قفزوا إلى حمام السباحة ... وكان يفصل بينه وبين حوض التماسيح جدار من الصخر يرتفع نحو مترين ... وقال «أحمد» وهو يسبح تجاهها: انتبها لِما يحدث ... سوف أنزل في حوض التماسيح.

قال «عثمان» مرتاعًا: كيف تفعل هذا ... هل أنت مجنون؟

أحمد: لا بد من المغامرة ... لقد فهمت أشياء كثيرة.

قيس: هل هذا الشاب المسمَّى «آنجلو» جاسوس لرقم «صفر»؟

أحمد: لا أظن ... ولكن هناك ما هو أخطر!

اقترب «أحمد» من حوض التماسيح، وبخفة الفهد تسلَّق الجدار ثم انحدر ناحية الحوض ... وشاهد على الضوء الخفيف أجساد التماسيح الضخمة ممددةً في طرف الحوض تتناول عشاءها من اللحم ... وفي سكونٍ تامٍّ نزل إلى الحوض، ووضع عينَيْه على سطح المياه وأخذ ينظر إلى أي بروزٍ على السطح ... وشاهده ... ولكن أين؟ ... عند التماسيح!

كانت لحظة من أخطر لحظات حياته، ولكنه كان يعرف أن في هذه الرسالة التي ألقاها «آنجلو» في الماء تعليمات من رقم «صفر» ... ولا بد أن هذه التعليمات تتعلق بالفيلم وبهم ... وكان لا بد أن يحصل عليها.

أخذ يعوم في هدوء حتى اقترب من مكان التماسيح التي توقفت عن الأكل، وأدار واحد منها رأسه ونظر إلى «أحمد» ... كانت عيناه الواسعتان تحملان نظرة جامدةً تشبه الزجاج ... وكأنما كان — في مُخِّه الصغير غير المدرك — يظن أن هذه قطعة لحم أخرى للأكل.

أخذ «أحمد» يقترب ... ويقترب ... وتوقَّفت التماسيح الثلاثة عن تناول وجبتها ... ودار أحدها دورةً واسعةً وأصبح يواجه «أحمد» ... ولأول مرة ربما في حياته كلها أحسَّ «أحمد» بالرعب ... أمام هذا الحيوان المخيف، أخذ ذهنه يعمل في سرعة البرق ... وقرر شيئًا واحدًا يحاوله ثم يسارع بالفرار إن استطاع.

رفع ذراعه وأخذ يضرب الماء ضرباتٍ متلاحقة نشأت عنها موجات صغيرة أخذت تضرب في طرف الحوض ... كان يهدف إلى تحريك الرسالة الصغيرة العائمة على وجه الماء لتقترب منه ... وأخذت الموجات تضرب جدار الحوض وتحرك الرسالة الصغيرة في الاتجاه المعاكس، وفتح أحد التماسيح فكَّيْه ثم قبضهما بشدة فأحدث موجة ضخمة دفعت بالرسالة قرب «أحمد»، الذي ابتسم رغم خطورة الموقف؛ فقد ساعده التمساح. وقال متمتمًا: شكرًا لك أيها التمساح ... في إمكانك أن تنضم إلى الشياطين!

ومدَّ «أحمد» ذراعه بحذرٍ، وأمسك بالرسالة في نفس الوقت الذي كان فيه التمساح يفتح فكَّيْه يحاول قَطْم ذراعه ... وفي لحظة كالبرق كان «أحمد» قد ابتعد وهو يحمل الرسالة الثمينة في يده.

أسرع «أحمد» يقفز السور ووجد «عثمان» و«قيس» رابضَيْن بجواره على استعدادٍ للتدخُّل في أية لحظةٍ، وخرج الثلاثة من الحوض، واتجهوا إلى غرفتهم ... وفتح «أحمد» الرسالة بسرعةٍ ... كانت موضوعة في غلاف من البلاستيك الخفيف المملوء بالهواء ... وكانت ورقة صغيرة كُتب فيها:

يحمل الرسالة «خالد». سيحاول السيطرة على الموقف من غرفة «كاسينا» ... يجب نسفُ المكان وإحراق الفيلم.

رقم «صفر»

ناول «أحمد» الرسالة إلى «عثمان» ثم إلى «قيس»، كانت أغرب رسالةٍ تلقَّوْها في حياتهم. وقال «أحمد» هامسًا: الآن عرفت أين رأيت «آنجلو» ... إنه يشبه «خالد» تمامًا ... خاصةً بعد أن حلق «خالد» لحيته الصغيرة ... إن رقم «صفر» عبقري ... و«خالد» في منتهى الشجاعة ... لقد لبس ملابس «آنجلو» ... واستطاعت النظارة السوداء أن تخفي عينَيْه.

ردَّد «عثمان» كلماتٍ مماثلةً وكذلك «قيس»، ثم لبسوا ثيابهم ومزَّق «أحمد» الرسالة قطعًا صغيرة ثم أخذ يلوكها بين أصابعه حتى أصبحت عجينة من الورق، ثم دخل إلى دورة المياه ووضعها في البالوعة ثم دفق عليها الماء.

لم يكن الثلاثة يعرفون ماذا سيحدث. كيف سيُسيطر «خالد» على الموقف ... ولم يَطُل بهم الانتظار ... فقد انطفأت الأنوار فجأة، وسمعوا صوت طلقاتٍ من بعيد، وأدركوا أن «خالد» قد بدأ، فاندفعوا من الباب في اتجاه الفيلا.

كانت الأضواء الساطعة من بعيدٍ تجعل كل شيء يبدو كالشبح، وكانوا في حاجةٍ إلى أسلحة بشكلٍ عاجل، ورأوا شبحًا يتحرَّك في اتجاه أبواب الحيوانات المتوحشة فقفز «عثمان» ثلاث قفزاتٍ عالية ... ثم كانت الرابعة وسقط على الرجل كالصاعقة ... وفي حركةٍ عنيفةٍ لوى ذراعه حتى سمع صوت طرقعة العظام ... ثم ضربه بسيف يده ضربةً رهيبةً فسقط الرجل، واستولى «عثمان» على أول سلاحٍ وكان مدفعًا رشاشًا من طرازٍ لم يرَوْه من قبل. وأسرع «أحمد» و«قيس» خلف «عثمان» في اتجاه الفيلَّا ... كانت أصوات الطلقات ما زالت تدوِّي فيها، وأطلق «عثمان» بضع طلقاتٍ على مصراع في نافذةٍ قريبةٍ، وسقط المصراع ... وضرب ما بقيَ منه بكعب المدفع ثم قفزوا إلى الغرفة ... كانت غارقةً في الظلام، ولم يكن معهم أي شيءٍ يمكن إضاءتها به ... وتحسس «أحمد» الجدران ... وصاح بصوت مكتوم: «أسلحة!» وانتزع مدفعًا، وسلم «قيس» واحدًا ... ثم اجتاحوا الباب بطلقات الرصاص واتجهوا إلى مصدر الصوت ... سمعوا صوت «خالد» يقول بصوت مرتفع: إن «كاسينا» أسيري ... فإذا لم تفرجوا عن زملائي قتلته كالكلب.

وصاح «قيس»: نحن هنا؟

وتطايرت طلقات الرصاص ناحيتهم ... وقال «أحمد»: أضئ الأنوار.

وسمعوا حركة ... ثم أُضيئت الأنوار كلها ... كان «خالد» يقف خلف باب وقد ألقى «كاسينا» على الأرض، ووضع قدمه فوق رقبته ... وكان يحمل مدفعًا رشاشًا وقد تلوثت ثيابه بالبارود.

وفي مقابله وقف رجال «كاسينا» ... كانوا خمسة، أصيب منهم اثنان جلسا على الأرض يتأوهان.

صاح «خالد»: إن الفيلم في هذه الغرفة.

دخل «قيس» مسرعًا ونظر حوله ... كان الفيلم موضوعًا على آلة تكبير ... وقد تم إعداد جزء كبير من المستندات على الورق ... وقال «أحمد»: أشعِل فيه النار ...

مدَّ «قيس» يده في جيب «كاسينا» وأخرج ولاعة ... وبسرعة أشعل النار في الفيلم وفي المستندات ... وقال «أحمد»: اترك النار تشتعل في الغرفة كلها ... ودار «قيس» بالولاعة على الستائر فأشعل فيها النار وأخذ يرقب الفيلم وهو يحترق بسرعة البرق ومعه المستندات، وقال «خالد»: والآن أفسحوا الطريق لي ولزملائي.

قال «كاسينا» الذي كان منهارًا تحت قدم «خالد» والمدفع الرشاش موجَّه إلى رأسه: أفسحوا لهم الطريق!

قال «قيس»: ستمشي معنا ...

ودفعه بقدمه فوقف «كاسينا» ... كان الرجل المتغطرس منهارًا تمامًا ... وكان ثمة جرح كبير في خدِّه ينزف ... وأفسح الرجال لهم الطريق ... وأسرع «أحمد» يُجرِّدهم من أسلحتهم ثم دفع بهم إلى إحدى الغرف وأغلق الباب.

قال «أحمد»: أسرعوا إلى مرسى اليخت!

أخذوا يجرون في اتجاه اليخت ... وفي هذه اللحظة سمعوا صوتًا أذهلهم ... كان صوت أبواب أقفاص الحيوانات المتوحشة ... وارتفعت زمجرة النمر الضخم وهو يخطو خارجًا.

قال «عثمان»: لقد نسينا الرجال الجرحى ... لا بد أن أحدهم هو الذي فتح الأبواب ... إنها تُفتح بالكهرباء!

قال «أحمد»: سيروا بهدوء ... لا تطلقوا النار على الحيوانات إلا إذا هاجمتنا ...

في هذه اللحظة ظهر من قلب الظلام الفهد الأسود ... لم يكن في استطاعة أحدٍ أن يراه قبل أن يقفز على «قيس» الذي كان أقرب الأشخاص إليه ... لقد دفعه وفاؤه لصاحبه أن يحاول إنقاذه ... تدحرج «قيس» والفهد فوقه، وهو يحاول أن ينشب أظفاره وأنيابه في الشيطان القوي ... كان من الصعب إطلاق الرصاص من مدفع رشاش على الفهد؛ فالطلقات قد تصيب «قيس»، وقال «أحمد»: راقبوا «كاسينا»!

ثم اندفع إلى المعركة الدائرة ... ورفع المدفع الرشاش وهوى بكل قوته على رأس الفهد الأسود الذي صرخ، واندفع ناحية «أحمد» ... كانت لحظة بين الحياة والموت ولكنها كانت كافيةً ... وتكوَّم الجسد الأسود عند قدميه ... وصاح: هيا بنا!

أسرعوا جميعًا إلى ناحية المرسى ... وكانت الحيوانات قد انطلقت من عقالها ... بينما اندفعت ألسنة اللهب تلتهم الفيلا ... واختلط صوت الحيوانات الرهيب بصوت ألسنة النيران ... كان مشهدًا مخيفًا.

وأسرعت غوريللا ضخمة خلف «أحمد» الذي كان يحمي انسحاب زملائه ومعهم «كاسينا» ... وأخذت تقترب بسرعةٍ مذهلةٍ ... لم يكن «أحمد» يريد إطلاق الرصاص عليها ولكن لم يكن هناك حلٌّ آخر ... واختار قدميها وأطلق دفعة من مدفعه الرشاش، فسقطت الغوريللا تتأوَّه ... ولاحظ «أحمد» أن النمر الضخم يقف بعيدًا يلعق مخالبه ... فأدرك بغريزته أنه لا يستطيع مقاومة الرصاص.

وصلوا إلى اليخت الفخم ... وأسرعوا يجتازون الممر الخشبي إليه ... وقال «أحمد»: سنأخذ «كاسينا» معنا بعض الوقت.

كان «خالد» أمهرهم في قيادة اليخوت ... فأسرع إلى غرفة الماكينات، وفي ثوانٍ قليلة كان صوت المحرك الضخم يهدر ... وأسرع «عثمان» يفك الحبال ... كان «قيس» يتولَّى حراسة «كاسينا» بينما وقف «أحمد» في جانب اليخت يغطي الانسحاب ... وظهر رجال «كاسينا» وأخذوا يطلقون الرصاص ... ولكن «أحمد» استطاع أن يصدَّهم عن الاقتراب حتى تحرَّك اليخت، وأخذت الطلقات تتباعد تدريجيًّا حتى تلاشت ... بينما استدار اليخت واستقبل المحيط.

قاد «قيس» «كاسينا» إلى إحدى قمرات اليخت، وربطه هناك، ثم عاد إلى بقية الشياطين في غرفة القيادة ... كان الفهد الأسود قد جرحه بمخالبه وأحس بالإعياء فجلس، ولم يكد «أحمد» يراه حتى قال: تعال ... لا بد أن هناك غرفة إسعاف في هذا اليخت ... أما أنت يا «عثمان» فعليك بإطلاق اليخت بأقصى سرعة ... إننا نريد أن نرسو على أقرب ميناء، فسوف يخرجون لمطاردتنا.

هل يصل الشياطين إلى ميناء آمن؟ هل يفعل «كاسينا» شيئًا آخر؟ هل يصل رجال العصابة إلى اليخت؟ هذا ما ستعرفه في القصة المثيرة القادمة.

هنـــداوي